مرحلة دراسية يطلق عليها التربويون اسم "الفلتر الاخير" طلبة هذه المرحلة تلفظهم المدارس ، الابتدائية النهارية لاسباب عديدة: العمر ، ترك الدراسة ، المستوى الدراسي المتدني ، السلوك الشاذ ، فتتلقفهم مدارس اليافعين على امل اعادة تأهليهم لمرحلة تعليمية متقدمة اولاً واصلاح ما يمكن من سلوكهم الاجتماعي ثانياً.

تحقيق: عامر القيسي

خمسة نماذج من شريحة تعدادها نحو ربع مليون

الطلبـــــة اليافـــعون...بين مطرقة الحرمان وسندان التفكـــك الاســـري!

في اول تجربة لي في مدارس اليافعين وفي اول مواجهة لي مع هذه الفئة من التلاميذ، شيد هؤلاء الطلبة بيني وبينهم حاجزاً نفسياً معقداً. ولم يكن من السهولة، اختراق هذا الحاجز بسبب وضعهم الخاص. واختراق الجدار او الحاجز واحدة من المهام التربوية في التعامل مهم، وقد قررت ان أتسلل الى دواخلهم بكل هدوء من دون دور الوصاية ورويداً رويداً انفتحت امامي عوالم مؤلمة، عوالم من التعقيدات والمشكلات الاجتماعية، كان هؤلاء الطلبة اوائل ضحاياها. وحدث ان حطم تسللي الهادئ الى دواخلهم، الجدار النفسي بيننا، وخلق بدلاً منه وشائج جديدة، مبنية على نوع من التعاطف معهم و نوع من الاحساس القوى باي منقذهم من ورطتهم الاجتماعية. ومنذ اللحظات الاولى لتسللي الذي مر بطرق الغام قصيرة، اصبح نفورهم من المادة الدراسية اقل والتزامهم بالتوجيهات التربوية اكثر قبولاً. كانت احدى وسائل التسلل الناجحة، هي انني خضت معهم، في مشاكلهم الاجتماعية، ومعاناتهم اليومية المؤلمة. اطلعت على قصص حياة بعضهم، وتأكدت من مصداقيتها من اكثر من مصدر. وكان هذا البعض يروي قصته كما لو كان يتحرك داخل شبكة عنكبوتية لزجة تعيق حركته في أي اتجاه يرغب. وبين جملة واخرى يسأل الطالب بكل لهفة "ليش استاذ؟!" باحثاً عن امل في طريق سرابي!!

غرفة بعشرة اشخاص!

الاسم: ب.ج
العمر: ١٦ سنة.
العمل: عتال.

يقول (ب.ج): كان خالي يعيش معنا في بيت واحد (في بيت جدتي) الذي ضمنا جميعاً . وحدث ان اغتصب خالي احدى بنات الجيران. فقام والدها بذبحها امام انظار اهل المحلة. ونتيجة للتهديدات بالقتل والثأر من قبل والد الفتاة. هرب خالي، وغادرنا نحن بغداد الى بيت اقرباء لنا في الناصرية. وقد تركت الدراسة الابتدائية اكثر من سنتين لهذا السبب. وعندما فكر والدي بالعودة الى بغداد كان ينبغي انهاء المشكلة مع اهل الفتاة المغتصبة والقتيلة، لذلك باع والدي بيت جدتي مع اثاثه الذي "فرهده" الناس بأسعار بخسة، استغلالاً لظرفنا ودفع والدي (فصل) لاهل الفتاة، من دون أي ذنب ارتكبته عائلتنا ومن يومها لم يعد لدينا دار نسكن بها، فاستأجر والدي غرفة واحدة، نسكنها ، ونحن عائلة مكونة من عشرة افراد (خمسة منهم صغار السن) واكبرهم عمره ١٧ عاماً ويعمل عتالاً ايضاً، وندفع ايجاراً مقداره ستون الف دينار شهرياً عن هذه الغرفة التي تشبه القبر. فكيف تريدني ان اقرأ يا استاذ؟ واين اقرأ؟ لقد ذهبت مني سنوات الدراسة و تعلم القراءة والكتابة بصورة افضل. انا اعمل عتالاً، اذهب الى السوق في السادسة صباحاً ولا اعود منه الا في التاسعة ليلاً. وفي بعض الايام اعود من عملي مبكراً لاذهب الى المدرسة. وفي الحقيقة لا احلام عندي بشأن المستقبل ويسأل، ما هو مستقبل العتال؟ هل يصبح طبيباً او مهندساً؟ لا استطيع ان اعمل في مهنة مفيدة. فعمري اكبر من التعلم واصحاب الورش لا يعطون اسبوعية تسد حاجات العائلة (الحمالة) واردها جيد ولكنها بلا مستقبل!

والده هو السبب

الاسم: م. س
العمر: ١٧ سنة
العمل: عامل ميكانيك
والدي متزوج من اربع نساء ، اثنتان في البصرة واثنتان في بغداد، هوايته ان يتزوج ويطلق، وهو صاحب مزرعة طماطم في البصرة، مورده المالي جيد، لكنه لا يهتم بنا على الاطلاق، نعيش وحدنا، انا وامي واخي واختي عمرها تسع سنوات وهي تلميذة في الابتدائية، اخي يعمل معي عامل ميكانيك وندفع ايجاراً مقداره ١٨٠ الف دينار شهرياً، انا واخي في في نفس المدرسة وما نريده هو الحصول على الشهادة الابتدائية ليس الا، لانها قد تنفعنا في يوم ما. انا اشعر بالاحباط والفشل عندما ارى اقراني سيكملون العام القادم السادس الثانوي ويذهبون الى الجامعة، العمل ياخذ كل وقتي مع اخي طبعاً. واعود مرهقاً من العمل. اجري لا باس به، لكن الايجار الذي ندفعه "يكسر الظهر" والدي يزورنا بين الحين والاخر ، ولكننا لا نشعر حتى بوجوده، لا يسأل اين اصبحنا وماذا نفعل. نعتمد على انفسنا في كل امور الحياة. ربما تستطيع اختي الصغيرة ان تواصل الدراسة، سنصرف عليها حتى تكمل دراستها ان شاء الله، وتحقق ما لم نستطع تحقيقه نحن!!

انا مشاكس

الاسم: م.ب
العمر: ١٥ سنة
العمل: متنوع

من بين خمسين طالباً، يشكل مصطفى مشكلة حقيقية داخل الصف، وبرغم الاجراءات التربوية المتنوعة التي سلكناها معه الا ان مشاكسته داخل الصف لا حدود لها. يقول مصطفى وهو يتحدث بطريقة ساخرة، :كنت اضحك على ابي، فقد كنت احمل كتبي صباحاً ولكني بدلاً من الذهاب الى المدرسة اتوجه الى محال الالعاب الالكترونية او البلياردو. ولكن في اجتماع الاباء والامهات انكشف امري. وصادف ان كان المدير السابق يعرف والدي فأخبره بموعد الاجتماع، وقد عاقبني والدي بصرامة، اذ ضربني وجلدني بقوة بل انه وثقني بالحبال ليلة كاملة. بعدها انتظمت في الدراسة. لكن احد المعلمين عاقبني بسبب تقصير في الواجب المدرسي وكثرة مشاكساتي داخل الصف. انتظرت المعلم خارج المدرسة ورميته بحجرشج رأسه! ولهذا السبب تم فصلي من المدرسة وتحويلي الى مدرسة لليافعين. اعمل الان صباحاً، واثبت على عمل محدد. مرة مع والدي (صاحب اسواق) ومرة اخرى في الشيخ عمر مع اصحاب المهن المختلفة.

الفقر والمرض!

الاسم: ع. ص
العمر: ١٥ سنة
المهنة: عاطل

(ع.ص) عكس (م.ب) تماماً، فهو لا يكاد يتكلم الى بشق الانفس، حركاته هادئة ومحسوبة، ولكن ما السبب؟ يقول: انا لم اتخلف عن الدراسة بسبب عدم حبي لها او نفوري منها. فانا منذ الصغر مريض بفتحة ولادية في القلب. وغالباً ما يصيبني الاغماء فينقلني الطلاب الى البيت وبسبب استمرار هذه الحالة عندي، كنت ارسب باستمرار، ومعجزة اني وصلت الى السادس الابتدائي. لقد كان فقر حالنا هو السبب. ان علاجي مكلف ويحتاج الى عملية وحتى العملية في مستشفى حكومي لم نكن قادرين عليها. ولكن لا امل لي في المستقبل. فقد اموت في أي لحظة. والدي الذي كان يعمل بأجرة يومية. استشهد في حادث ارهابي والدار التي نسكنها ندفع ايجارها ١٥٠ الف دينار شهرياً، غرفة وصالة، نسكن بها امي وخمسة اخوة واختين، حالتنا بائسة يا استاذ، اخوتي في مدرسة مسائية ويعملون صباحاً (وهذا الطالب يحظى برعاية خاصة وتعاطف من قبل المعلمين والادارة الذين يقدمون له المساعدة ليواصل دراسته).

خاتمة

هذه عينات عشوائية بسيطة، الشريحة غير قليلة من الطلبة في المجتمع العراقي (تعدادهم نحو ربع مليون تلميذ في كل انحاء العراق) ينخرها الفقر والمرض والتشرد الاجتماعي. بسبب انظمة الادارة التربوية والتعليمية والمؤسسات الصحية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والانحلال الاسري، الذي هو في النهاية نتاج كل الظروف التي تحدثنا عنها. ويقدم لنا هذا الانحلال بالنتيجة شريحة ليس لها أي افق للمستقبل. شريحة ستبقى هامشية ومضرة في بعض الاحيان لان كل اشتراطات الانحراف مفروشة امامها بالورود! فقر، قلة وعي، فقدان دور الاسرة والدولة معاً، والنتيجة شريحة شباب بعمر الانتاج الفعلي في المجتمع معطلة تماماً، وتشكل رافداً حيوياً للعصابات وللمجموعات الارهابية التي حلت علينا مؤخراً.

بين الناجحين والفاشلين والمتذبذبين

المديـــــرون: مـــا احوجنـــا اليـــوم الـى مهـــاراتهم

علي المالكي

هل يملك الرأي العام العراقي صورة واضحة عن المدير الفاشل والمدير الناجح؟ ثمة صورة ولكنها غير واضحة ، ولم تجر تنقيتها بأساليب التفكير العلمي ، والمدير في هذه الصورة غالباً ما يكون الموظف الذي يقف على رأس هرم احدى المؤسسات الحكومية ، مع ان رب العائلة هو الاخر مدير ، وخطيب الجامع مدير ، والمخرج السينمائي ، والتاجر ، ولكل مجال طبيعته الخاصة. ان تداولا لمشكلة المديرين وانواعهم في المجتمع العراقي من شأنه تعديل صورة الرأي العام عن المدير الفاشل او الناجح او الهجين ، اضافة الى ان هذا التداول يسهم في تقويض ظاهرة الفساد الاداري التي نأمل اتساع مجال رؤيتها لتشمل فضلاً عن دوائر ومؤسسات الحكومة دوائر القطاع الخاص ، والمجتمع المدني ايضاً.

فيروس الفساد

السيد كامل القره غولي حدثنا عن رؤيته لمشكلة المديرين وتصنيفهم بين فاشل وناجح ومتذبذب بصفته مديراً عاماً للمصرف الصناعي في منطقة الفرات الاوسط، يقول: "النظرة للادارة تعتمد على القدرات الذاتية، والتأهيل الاكاديمي والعلمي مع الموهبة، والخدمة العملية، وشخصية المدير تعتمد على عوامل شخصية للوراثة حيز كبير فيها، والتركيب الشخصي النفسي من حيث الاستعداد لاتخاذ القرار وتحمل المسؤولية، فليس كل من تأهل اكاديمياً وعلمياً قادراً على الادارة اذا لم يكمل ذلك بالكفاءة الشخصية والموهبة الذاتية، والتراكم المعرفي وتحمل المسؤولية واتخاذ القرار الصائب.

صحيح ان المسؤوليات والاداريات ليست بمستوى واحد، ولكن كبيرها يعتمد على صغيرها ومن كان ناجحاً في مسؤولية صغيرة جدير بتحمل الكبيرة ومن لم يكن قادراً على تحمل المسؤولية الصغيرة فمن المؤكد انه سيفشل في تحمل المسؤولية الاكبر، وفي المفهوم العام ان المسؤولية (مقدرة) على حاملها كجلباب فان كانت اكبر منه، عثر بها، واذا كانت على مقاسه فستكون الصورة رائعة التناسق، قد نجد كفاءات هي اعلى من عناوينها لو هيئت لها الفرصة، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وهذه المشكلة هي الفيروس المسبب للفساد الاداري خاصة في بلدان العالم الثالث اذا تهيأ لهذا الفساد الجو المناسب للتسلل الى مواقع صنع القرار وكثيراً ما جلبت هذه الحالات مشاكل جمة تنشأ عنها خسائر مادية ومعنوية وبشرية، ومن اجل صنع ادارة ناجحة فلا بد من توفر:

١- وجود نظام اداري وتعليمات تشكل خارطة مؤشر عليها مسارات يتم من خلالها امتحان للمواصفات العامة وبيان توافرها في المرشح للمنصب.
٢- الشخصية المؤهلة شكلاً ومحتوى مع نفس تواقة وطموح.
٣- فلسفة عمل على وفق منطوق ان الادارة تكليف وليست تشريفاً وخدمة وليست امتيازاً.
٤- تحصيل علمي اكاديمي منهجي ناجح.
٥- تراكم معرفي وخبرة ميدان.
٦- الشخصية الايجابية والفعالية وغير النمطية.

وبذلك تكون هذه الادارة، فاعلة ومبدعة تتعامل مع القانون والتعليمات على وفق فلسفة ومنهج يضع اهدافه العامة لتحدد طبيعة التطبيق بحيث لا يكون التطبيق حرفياً بل متناسباً مع ظرف العمل وحيثياته، ويمكن ان نضيف لما تقدم اهمية وجود الارضية المناسبة والهيكلية المرنة لتمارس الادارة مسؤولياتها على ان يكون النظام العام مشجعاً لنمو وبروز الكفاءة وليس كابحاً لها. لتطبيق (نظام ادارة الجودة) الذي ينال بموجبه الفرد موقعه من خلال انتاجيته ودرجات نجاحه وليس على اساس العلاقات الشخصية، المحاباة ، والانتماءات العشائرية والحزبية والعرفية العمياء، على ان تقسم نقاط التمايز بميكانيكية مجردة الا من غرض المصلحة العامة.

المدير في المجتمع المدني

والآن اذ تشكلت المئات من منظمات ومؤسسات المجتمع المدني في العراق، وهي مؤسسات ذات طبيعة نوعية تختلف عن القطاعين العام والخاص، ولا تبغي (الربح) في نشاطها علينا ان نتساءل ايضاً عن مواصفات مديريها او رؤسائها وهكذا طلبنا من السيد مهند الدليمي مدير المكتب التنسيقي لمنظمات المجتمع المدني في محافظة بابل ان يحدد لنا مواصفات المدير الفاشل: فحددها الدليمي بما يلي:

١- المدير الفاشل هو الذي يعتمد على الآخرين.
٢- من لا يحب عمله ولا يؤمن به ولا بجدواه وانما يتظاهر بذلك مع ملاحظة ان المنظمة التي يديرها تكون فاشلة.
٣- من ليس له هدف او طموح او غاية يسعى اليها ما عدا مصالحه الشخصية .
٤- من يفتقد المرونة في معالجة الامور.
٥- من يخالف سلوكه توجيهاته.
٦- من لا يؤمن بان للآخرين وجهات نظر ايضاً.
٧- من ينسى تعليماته التي وجهها ولا يقوم بتذكير الآخرين بها.

مدير المدرسة

ولان لكل مؤسسة طبيعتها النوعية الخاصة، فان الدور الوظيفي للمؤسسة يحدد خصائص المدير الفاشل او الناجح فيها، ومؤسسات التربية والتعليم بحاجة الى مديرين ناجحين يجب ان تتوافر فيهم صفات ربما ليست ضرورية في مديري المؤسسات الاخرى، وعليه استطلعنا رأي السيد ماهر الصفار مدير احدى المدارس الثانوية في المدير الناجح، فقال: " ان القيام بعمل ما يهم الفرد والمجتمع يحتاج الى الموهبة والدراية الكافية، وبقدر تعلق الامر بإدارات المدارس اعتقد بانه يجب ان يكون المدير ملماً كل الالمام بعلم نفس الطفل والفرد والمجتمع ويعد مثالاً وقدوة للاخرين في اخلاقه وعفة نفسه وحنانه، والشدة البعيدة عن التطرف، وان يكون (عراقياً) خالياً من عقد الطائفية والحزبية والعشائرية يبني علاقات شفافة باعضاء الهيئة التدريسية من باب لك حقوق وعليك واجبات، وان يعامل الطلبة بعدالة ولا يفرق بين ابن التاجر وابن العامل عليه ان يكون اباً للجميع.

آراء اخرى

وقبل ان نتصفح الانترنت، او الكتب لنقف على رؤية الآخرين للانواع الثلاثة من المديرين الفاشلين والناجحين والمتذبذبين لنطلع على آراء اخرى للعراقيين؛ العقيد صلاح الصالح مدير دائرة شؤون المحاربين في محافظة بابل، يقول: ان المدير الناجح الى جانب تواضعه يجب ان يكون حازماً في المواقف التي تقتضي الحزم، وان يتابع الفساد الاداري في دائرته وابتداء بنفسه، ويهتم بتطوير نفسه، ولا يأنف من التشاور مع منتسبي دائرته وان يلم ويتابع كل صغيرة وكبيرة ويضع خدمة المواطنين نصب عينيه.

وعلق الدكتور صلاح عبد المهدي الناشط في مؤسسات المجتمع المدني على مسألة المديرين وانواعهم، من خلال علاقة (الانا) بـ (النحن) وكل انسان ينظر للانا دون النحن هو انسان فاشل، واقول يتفق العراقيون على اننا بحاجة الى اصلاح اجتماعي جذري والمدير الناجح انما هو مصلح في مجتمعه. والى ذلك ذهب المعاون القضائي السيد فاضل تركي حناوي مدير ادارة محكمة الجنايات في بابل بقوله : "كان يقال ان الوحدة العسكرية بآمرها فاذا كان ناجحاً كانت ناجحة وبالعكس، وفي مجال القضاء القاضي الناجح قد لا يكون مديراً ناجحاً، وتتلخص خصائص المدير الناجح بما يلي:

١- يشعر الآخرين بأهميتهم
٢- يملك القدرة على اثارة الحماس في الآخرين.
٣- يثني على الاعمال الجيدة ويرحب بالمبادرات والافكار والمقترحات التي يقدمها الآخرون.
٤- منفتح على الجديد في الثقافة الادارية وغير متقوقع على نفسه ويسعى دائماً الى تطوير كفاءته على استعداد لقبول نقد الآخرين والافكار الجديدة.

الرجل ام المرأة

السيدة زينب بدر مسؤولة قسم شؤون المرأة في جمعية حقوق الانسان بدت متحاملة على بنات جنسها بقولها : "ان الرجل اكثر عرضة الى الوقوع في فخ الفساد الاداري، والسبب انه رب عائلة وهناك زوجات لا يهمهن ان يعرفن من اين المال الذي يدخل بيوتهن ويبقى الامر متعلقاً بالزوج لكونه اكثر حركة وله علاقات اجتماعية عديدة، ولكن لنسأل انفسنا لماذا يقوم الرجل بقبول الرشوة؟ ومن ثم يتسبب في ايقاع الآخرين بمشكلة الراشي والمرتشي؟" إما المواطن سعد علي حسين، فقال"ما الذي افعله اذا كنت اريد الحصول على جواز سفر، وتقدم لي احدهم وعرض علي الحصول على الجواز بسهولة، وانا جالس في منزلي، مقابل مبلغ سأدفع له من اجل الجواز لانني بحاجة اليه، او ربما من اجل التعيين. ادفع لكي احصل على وظيفة ما دام -التوريق- سيؤمن حصولي على وظيفة".

السيدة امل خضير (موظفة) تقول: " بما ان الرجل اكثر عطاء من المرأة لسببين البيئة والوضع الاجتماعي الشرقي فقابليات الرجل افضل لذلك فمن الطبيعي قدرته او ميله لارتكاب الفساد الاداري اكثر من المرأة لما يملكه من قابليات، المرأة ضعيفة وتخاف من اخذ الرشاوى والهدايا ولهذا فهي تتجنب الوقوع في الفخ".

وبعد

ان اقامة الحلقات النقاشية والندوات للتعرف على مواصفات المديرين امر ضروري لمعالجة الفساد الاداري ولتحويل المدير المتذبذب الى مدير ناجح، ونعتقد بان كليات الادارة والاقتصاد في الجامعات العراقية ومراكز البحوث جديرة بحمل شرف هذه المهمة الثقافية النبيلة في اشاعة وتكريس قواعد الادارة العلمية الحديثة عبر التداول الجماعي بالمفاهيم والمصطلحات الادارية وظواهر الادارة.